ارضعتك حولين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم يكن كذلك
حين ارضعتك حولين اسهرت لك ليلها واظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها
قال ما فعلت قال حججت بها على عنقي قال ما جزيتها وعن ابن عمر انه راى رجلا في
الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية لا تذعر اذا الركايب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن
عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة ولما كان ما ذكر في حق الوالدين عسر جدا
يحذر من التهاون فيه اشار بقوله تعالى ربكم اي المحسن اليكم في الحقيقة
فانه هو الذي عطف عليكم من بربكم وهو الذي اعانهم على ذلك اعلم اي من كل احد
بما في نفوسكم من قصد البر لهما وغيره فلا يظهر احدكم غير ما يبطن فان ذلك
لا ينفعه ولا ينجيه الى ان تحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتهما ان تكونوا صالحين
اي متقين محسنين في نفس الامر والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل
عليه واشار تعالى الى انه لا يكون ذلك الا بمعالجة النفس وترجيعها كرة بعد كرة
بقوله تعالى فانه كان للاوابين اي الرجاعين الى الخير مرة اثر مرة بعد جماع
انفسهم عنه غفورا اي بالغ الستر بمن وقع منه تقصير فرجع عنه فانه
مغفور له ولما حث تعالى على الاحسان للوالدين بالخصوص عم بالامر بالاحسان
لكل ذي قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى وات ذا القربى من جهة الاب والام
وان بعد حقه والخطاب لكل احد ان يوتي اقاربه حقوقهم من صلة
الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان
كانوا محتاجين ومحاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة
وقال الشافعي لا يلزم الا نفقة الوالد على ولده والولد على والده فقط
وقيل المراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وات المسكين حقه وان لم يكن قريبا وات ابن السبيل
وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقيا محسنا ولما رغب تعالى
في البذل وكانت النفس قل ما يكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط
اتبع ذلك بقوله تعالى ولا تبذر بتفريق المال سرفا وهو بذله في ما لا ينبغي
وقد كانت الجاهلية تبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها
فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف اليه وفي قوله تعالى
تبذيرا تنبيه على ان الارتفاع نحو ساحة التبذير اولى من الهبوط الى
مضيق الشح والتقتير والتبذير بسط اليد في المال على حب الهوى
وقد سئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه
واما الجود فهو اتباع امر الله تعالى في حقوق المال وعن مجاهد لو انفق الانسان
ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق
بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال

لا سرف

لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا
فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر
جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير باضافته اياه الى افعال الشياطين بقوله تعالى
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي على طريقتهم او هم اخوانهم واصدقاؤهم
لانهم يطيعونهم فيامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم وهم في النار على سبيل
الوعيد ثم انه تعالى بين صفة الشيطان بقوله وكان الشيطان اي هذا
الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر لربه اي الذي احسن اليه بايجاده
وتربيته كفورا اي ستورا لما يقدر على ستره من اياته الظاهرة ونعمته
الباهرة مع الحجة فلا ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله قال بعض
العلماء خرجت هذه الاية على وفق عادة العرب وذلك لانهم كانوا يجمعون الاموال
بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها في الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش
وغيرهم ينفقون اموالهم ليصدوا الناس عن الاسلام وتوهين اهله واعانة
اعدائه فنزلت هذه الاية تنبيها على قبح افعالهم في هذا الباب وقوله تعالى
واما تعرضن ابتغاء رحمة من ربك نزل في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب
وكانوا يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا
يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك لانتظار رزق من الله يرجوه ان
ياتيه فيعطيه فقل لهم قولا ميسورا اي ذا يسر يشرح
صدورهم ويبسط رجاءهم لان ذلك اقرب الى طريق المتقين المحسنين قال ابو
حيان روي انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده
ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله انتهى وقد وقع هذا الابتغاء
موضع الفقر لان فاقد الرزق يبتغي له فكان الفقر سبب الابتغاء والابتغاء
سببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ثم امر تعالى نبيه بما وصف له
عباده المومنين في الانفاق في سورة الفرقان بقوله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فقال تعالى ولا تجعل يدك
اي بالبخل مغلولة اي كانها بالمنع مشدودة بالغل الى عنقك اي
لا تستطيع مدها اي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق على نفسك
واهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك
في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تبسطها بالبذل
كل البسط فتبذر بحيث لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكماء في كتب الاخلاق
ان لكل خلق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والمعتدل هو الوسط وعن
جابر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك
درعا اي قميصا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال
للصبي من ساعة الى ساعة هذا متعلق بمحذوف اي اخر سولك من ساعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)